المصدر: الاحرار
التاريخ : ٢٠ اغسطس١٩٩٦

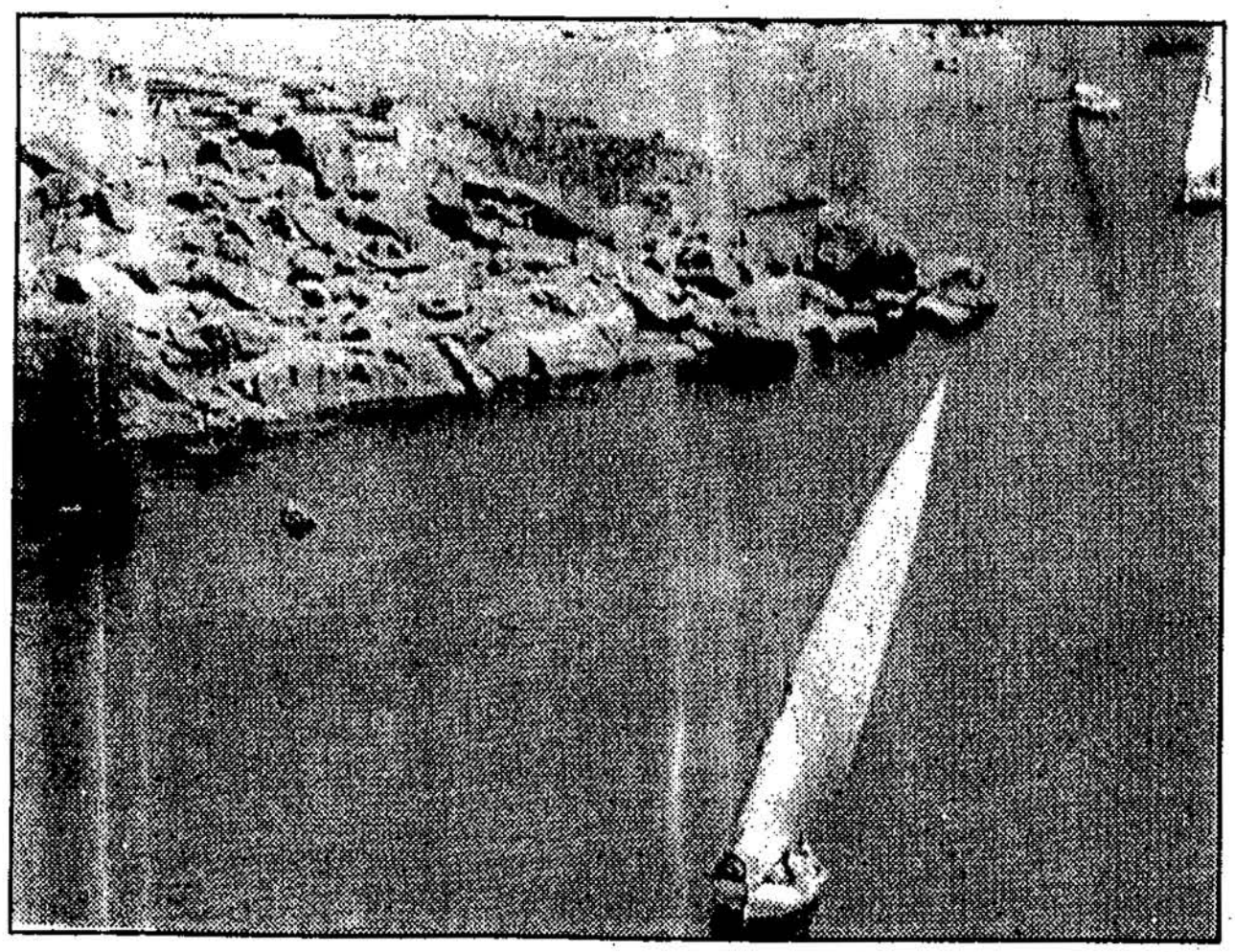

من يسمع اجراس الخطر

مجدى شندى

●● فى جلسة من جلسات "الانس" بين الرئيس الراحل انور السادات وعيزرا وايزمان وزير "الدفاع" الاسرائيلى فوجىء المسئول الصهيونى الكبير بالسادات يقول له : اسمع ياعيزرا اننى على استعداد لان اشق فرعا من النيل يمشى تحت قناة السويس الى العريش ويصل اليكم فى سيناء والنقب معا!! وكان اقتراح السادات يعكس مجموعة من الازمات...

اولها : ازمة الحكم فى مصر التى تدار سياساتها . بشكل فردى وبنفس منطق الفرعون القديم الذى يملك كل شىء ويتحكم فى كل شىء.

ثانيها : أزمة من نوع خاص .. وهى اننا امام رجل يهدى بعد ان ذابت الفواصل فى ذهنه بين الواقع والخيال ، فلم يعد يملك اداة للتفريق بين ما نامل ان يكون .. وما هو كائن فعلا.

ثالثها : ان صانع القرار المصرى مهما قدم من تنازلات .. فإن العدو الحقيقى سيبقى عدوا . وان طال الزمن . والشقيق سيظل شقيقا وان تداعت المحن.

رابعها .. ان هناك ازمة طاحنة فى المياة تختم على مستقبل هذه المنطقة ولايستبعد ان تكون سببا رئيسيا لنشوب حروب كبيرة بشكل مباشر . او بالوكالة . مهما وقع العرب من معاهدات تسوية لان السلام الحقيقى يظل وجهه غائبا عن هذه البقعة من العالم .

وفكرة السادات "المجنونة" لم تكن تعبر الا عن تمثيلية رجل قرا قشور التاريخ واستغنى عن لبه واقتنع بخطوط عامة دون خوض فى التفاصيل ومكمن الخطورة هو ان رجال السادات لايزالون اداة تاثير ، فهم فى مدار قريب يملكون توجيه دفة الامور او على الاقل تاثيرا فى المجريات ، وعلى ذلك فهم لايريدون ان يسمعوا اجراس الخطر التى تصم اذان كل ما فى هذه المنطقة منبهة الى كارثة مياة وشيكة ستحرق بنيرانها اول ما تحرق مصر والمصريين لانهم الطرف الوحيد الذى لايزال يتعامل مع المخططات الدولية فى هذا الشان على انها "قدر" ينبغى لفت الانتباه عنه .. وعندما تحل هذه الكارثة سيكون نجم هذا الجيل على وشك الافول ، ومن ثم على الجيل الجديد ان يتحمل تبعة ماسيحدث!!

نذر الخطر

القصعة التى سيتهافت عليها الجميع فى المستقبل هى النيل ، والاعين كلها تتجه الى مياهه مترقبة الوقت المناسب لسلب المصرى اعز ما يملك . نقطة الماء . والاعداء كثر.

فاسرائيل تولى اهمية كبيرة للمياه .. تعرف قدرها تخطط لمستقبلها وفى هذه الاهمية ليست وليدة ظرف بعينه ، بل ان الماء يعتبر نقطة ارتكاز فى الايديولوجية اليهودية ، فالدولة التى ينشدها زعماء الحركة الصهيونية منذ القدم دولة مائية امتدادها من ماء النيل الى مياه الفرات . وفى عام ١٩٥٥ لخص ديفيد بن جوريون اهمية المياة للكيان الصهيونى وربط هذه الاهمية بقضية الوجود الصهيونى ذاته فقال "ان اليهود يخوضون

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

اليوم مع العرب معركة المياة ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير اسرائيل ، واذا لم ننجح فى هذه المعركة فاننا لن نكون فى فلسطين.

وربطت جولدا مائيرفى وقت لاحق بين قضية المياة وبين الاعتبارات الامنية وهو امر عكسه قول ايجال الون احد كبار منظرى حزب العمل "ان لهضبة الجولان ومنحدر جبل الشيخ اهمية حيوية ، لامن اجل الدفاع عن المستوطنات وادى الحولة ضد الرمايات السورية فحسب وانما ايضا لحاجات اسرائيل الاستراتيجية الشاملة فى الاشراف على الجولان ، فهذا الامر يتعلق بالدفاع عن الموارد الاساسية لمياهنا' وبالدفاع عن الجليل الاعلى والاسفل ، وبالدفاع عن الاردن الاعلى والاوسط .. وادى الحولة وبحيرة طبرية والوديان المحيطة".

ويفضح ابا ايبان نوايا الصهاينة والاستراتيجيات الصهيونية الخاصة بالسيطرة على المياة ومنابعها بقوله "لسنا من المهتمين الان بالنيل والفرات .. لكننا نولى الاردن وخاصة منابع نهر الاردن كل اهتمام.

كانت العبارة الاخيرة هى كلام اسرائيل منذ ٤٠ عاما اما الان فان النيل يأتى فى صلب الاهتمامات الاسرائيلية .

فقد تلقفت دوائر صنع القرار الاسرائيلى فكرة السادات وتعيد كل حين طرحها بصيغة جديدة كاشفة مطامع حقيقية فى استغلال مياه النيل عبر مشروعات سابقة وحالية.

فلم ينس الصهاينة المشروع الذى تقدم به تيودور هيرتزل عام ١٩٠٣ الى الحكومة المصرية وطلب فيه منح اليهود امتياز التوطن فى سيناء ، وتضمن المشروع استغلال مياة النيل بعد سحبها فى انفاق تمر تحت قناة السويس.

وتردد تل ابيب مشروعين اخرين .. تعيد طرحها وتضغط عليها كل حين وفى اى مناسبة

الاول مشروع اليشع كالى الذى اسماه "مشروع مياه السلام" ويقضى باستخدام ٥,٥٪ من مياه النيل لرى النقب الشمالى عبر انابيب تمر تحت قناة السويس بجانب الاسماعيلية حيث تصب فى قناة مبطنة بالخرسانة على الجانب الاخر حتى خان يونس تتفرع بعدها فى اتجاهين.

الثانى مشروع لعالم اسرائيلى يدعى شاؤول ارلوزوروف ويقضى بحفر ثلاث قنوات تحت قناة السويس لتوصيل ماء النيل الى نقطة ضخ فى سيناء بالقرب من مدينة بالوظة وتدفع فى قناة مفتوحة بمحاذاة ساحل سيناء الشمالى وتنتهى عند بداية جهاز الرى الاسرائيلى النقب.

وظهرت الاطماع الاسرائيلية امام ممثلى الصحافة فى لجنة المياه التى عقدت فى فيينا عام ٩٢ ضمن المباحثات متعددة الاطراف حيث اعلن البروفيسور دان مالازفسكى مفوض المياه فى دولة العدو موقف اسرائيل قائلا "اذا كان احد يقصد السلام فينبغى الا يجادل بشان المياة" وفى الجلسة الخامسة لنفس

المحادثات دعا موسى بيلين رئيس الوفد الاسرائيلى الى "نبذ الحديث عن حقوق الماضى والتى تتمثل فى المياة التى اغتصبتها اسرائيل والانطلاق من الامر الواقع الحالى وادعى بيلين ان عبء المشكلة المائية يقع على عاتق الدول العربية المجاورة وعليه اقترح تزويد الضفة وغزة بالمياة من مصادر خارجية على راسها النيل ، وزعم ان ٥,٥٪ من الاستهلاك المصرى لاتشكل عنصرا مهما فى الميزان المائى لمصر كما ان هناك مشروعا مصريا لتزويد سيناء بالمياة يمكن مده وزاد على مزاعمه كذبة اخرى عندما قال ان لدى مصر فائضا متوقعا من الماء.

وجاءت الافكار الاسرائيلية التى طرحت على اللجنة منافية لما تم الاتفاق عليه فى اليوم الاول للجولة الاولى بين السفير فوزى الابراشى ممثل مصر فى المباحثات مع رئيس الوفد الامريكى على ابعاد موضوع النيل تماما من القضايا القابلة للمناقشة ، ورغم اتفاق بألا يقترب احد من هذا الموضوع حتى فى المؤتمرات الصحفية .

وعلى حد تقدير الدكتور رشدى سعيد فان التفريط فى مياه النيل امر غير وارد فى الوقت الحاضر ، فقد اصبح موضوع نقص المياه معروفا لساسة مصر معرفة جيدة.

ودول الجوار ايضا!!

المطامع فى مياه النيل ليست مقصورة على العدو الاسرائيلى ، فدول الجوار ايضا لها تطلعاتها الخاصة والتى تنبع فى بعض

الاحيان من مخططات دولية.

ففى فبراير ١٩٥٦ اعلنت اثيوبيا انها سوف تحتفظ لاستعمالها الخاص مستقبلا بموارد النيل وتصرفاته فى الاقليم الاثيوبى اى لحوالى ٨٦٪ من ايراد النهر باكمله ، ووزعت بذلك مذكرة رسمية على جميع البعثات الدبلوماسية فى القاهرة اكدت فيها انها ستحفظ حقها فى استعمال موارد مياه النيلية الاخرى من هذه المياه.

وقام مكتب استصلاح الاراضى الامريكى بعد ذلك بدراسة للتنمية الاراضى الزراعية الاثيوبية فيما بين عامى ٥٨ و ١٩٦٤ وكانت اثيوبيا تستخدم فى ذلك الحين كاداه امريكية لتحذير مصر من امكانية استخدام منابع النيل فى التاثير على مستقبل مصر التنموى.

هذا الحديث الذى يثير القلق نجدد مرة اخرى اوائل الثمانينيات عندما اعلن ممثل اثيوبيا فى قمة لاجوس ١٩٨٠ انه لاتوجد اتفاقيات دولية حتى الان بشان توزيع حصص مياه النيل ، عقب ذلك دعا "زويدى اباتى" المدير العام لتنمية الاودية الاثيوبية الى توزيع مياه النيل بالتساوى بين الدول التسع التى يمر النيل او احد فروعه او مصادره فيها واشارت التصريحات الاثيوبية الى ان السيادة المطلقة لاثيوبيا على مياهها لاتحددها فقط احتياجاتها الحاضرة وانما ايضا

احتياجاتها المستقبلية.

ولم تعترف كينيا وتنزانيا واوغندا من حوض النيل ايضا بالاتفاقيات الدولية التى وقعتها مصر بشان اقتسام المياه واجمعت هذه الدول ومعها رواندا وزائير عن خوض اى مفاوضات رسمية بهذا الشان.

دور غربى مشبوه

يرتبط دور الغرب "وعلى راسه الولايات المتحدة الامريكية" فى مجال المياه بالمصالح الاساسية له فى المنطقة والتى تتمحور حول السيطرة على انتاج البترول وممرات نقله واستغلال اسرائيل كاداة لهذه السيطرة وكذلك مواجهة اى قوى راديكالية فى المنطقة من شانها احداث تغيير يؤثر على المصالح الغربية .. وتبرز دراسة مولتها الوكالة الامريكية للتنمية الدولية عن اوجه التعاون المحتمل فى هذا المجال بين مصر واسرائيل الى ان مصر لديها مياه للرى اكثر من حاجتها وعقب اجراء هذه الدراسة قامت الولايات المتحدة بدعم مشروع لترشيد استخدام مياه الرى فى مصر ، وهناك شك كبير فى ان البيئة الامريكية لم تكن افادة لمصر بقدر ما كانت احداث وفر فى استخدام المياة تستفيد منه اسرائيل.ولايخفى على احد ان اصابع الغرب تعبث كل حين فى منابع النيل تحاول تغيير الافكار والرؤى والقفز على ما هو موجود والهدف الواضح هو ايجاد ورقة تساوم بها وتضغط على مصر.وتلوح فى اصدارات البنك الدولى خطوط عامة اسماها واحد من الكتب التى تناولت المشكلة "بالفكر

المائى الجديد" وهذه الخطوط مبنية، على اعمال آليات السوق فى مجال المياه وخلق درجة كافية من القبول الاجتماعى لفكرة التداول التجارى لها .. وهو امر سيحدث انقلابا لوتم تطبيقه فمبدا تسعير المياه لايزال غير مقبول والحكومات لاتستطيع تطبيق ذلك لانخفاض دخل المواطنين وارتفاع معدلات البطالة ، كما ان ذلك سيؤثر تاثيرا كبيرا فى الفلاحين وربما يدفعهم لهجرة الزراعة ، واذا عرفنا ان ميخال برونو نائب مدير هذا البنك وجريشون فيدير رئيس قسم السياسات الزراعية فيه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

اسرائيليان لادركنا المغزى من وراء هذه الفكرة الجديدة .. والهدف .. الا وهو خلق صراعات جديدة بين الدول النهرية المتشاطئة وهدم كل المبادىء القانونية المتعارف عليها ، وفى النهاية احلال مبدأ يسمح لاسرائيل بالحصول على سلعة المياه من جوارها العربى خاصة من مصر ، والحجة هى ان تل ابيب التى تعانى من ازمة مياه تطالب بحصة مائية مهدرة او غير مستغلة لتعزيز سياساتها الاستيطانية.فترى هل يدرك المسئولون الذين يلامون فى العسل ان احتياجات مصر من المياه ستصل عام ٢٠٠٠ الى ٧٠,٥ مليار متر مكعب وعام ٢٠٢٥ الى ١٠٣ مليارات عام ٢٠٥١ الى ١٣٦ مليار متر بينما لن يزيد اجمالى الموارد المائية عن ٧٤ مليار متر مكعب اذا بقيت الامتيازات التى تتمتع بها مصر فى مياه النيل كما هى عليه هل يقتنع المسئولون ان شعارات غزو الصحراء يجب ان تتحول الى واقع قبل فوات الاوان.

هل يعرف المسئولون ان مياه مصر مستهدفة من الشرق والغرب والجنوب وان هذه القضية قضية امن قومى تسبق فى الاولويات اى قضية اخرى.اذا كانوا على علم بكل هذه الحقائق فلماذا لايتحركون يفعلون شيئا قبل أن تقع الكارثة ونجلس كالعادة نندب حظنا العاثر .. ونلقى باللوم على الطبيعة التى ضنت عليها بخيراتها وزرعت فى مصر قنبلة موقوتة هى قنبلة الانفجار السكانى.لقد وصف بطرس غالى مصر بانها بنجلادش محرومة من الماء على حافة المتوسط ، نأمل الا يطول الانتظار حتى يخرج المسئولون المصريون من غيبوبتهم ، فموضوع كهذا لايصح باى حال أن يكون محلا للاهمال او اللامبالاة فالمستقبل لمن يخطط له ويحسب له الف حساب.

مراجع

* د. رشدى سعيد "نهر النيل واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل" دار الهلال . ١٩٩٣ .
* د. سامر مخيمر وخالد حجازى "ازمة المياه فى المنطقة العربية . الحقائق والبدائل الممكنة" عالم المعرفة . الكويت . ١٩٩٦ .
* مجدى شندى . المياه .. الصراع القادم فى الشرق الاوسط . دار المعارف . القاهرة . ١٩٩٢ .
* محمد حسنين هيكل . عواصف الحرب وعواصف السلام . دار الشروق . القاهرة . ١٩٩٦ .
* مجلة الوحدة . العدد ٧٦ . المجلس القومى للثقافة العربية . الرباط . ١٩٩١ .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية